النَّسق الثَّقافي المُضمر في شعرِ دِيّكِ الجِّن الحمصِي (ت235هـ)

The implicit cultural pattern in the poetry of Diik Aljin Alhmsi (d. 235 AH).

أ.د. حربي نعيم محمد الشبلي حوراء فريق عبيد الهلالي
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء
قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Harby Naim Mohammed Al-Shibli
Researcher: Hawraa Obaid Al-Hilali

كلمات مفتاحية :النقد الثقافي، النسق السياسي، النسق الاجتماعي، ديك الجن الحمصي.

Key words:: cultural criticism، the political system، the social system، Deek al-Jin al-Homsi..

ملخص البحث

يقدمُّ هذا البحث أنساقًا من النقد الثقافي المتمركزة في خطاب الشاعر ديك الجن الحمصي والكشف عنها وبيان دلالتها المضمرة، وعبر قراءة ديوان الشاعر تمّ التوصّل إليها وتحديدها بنسقين : الأول سياسي وهو نابع من جور السلطة وفسادها ويعرف بـ (النسق السياسي)، والثاني اجتماعي ومنه ما كان عامًا نابعًا من الظواهر الاجتماعية في ذلك الوقت وما كان خاصًا بالشاعر نفسه وعلاقته بمن حوله ويعرف بـ (النسق الاجتماعي)

Abstract

This research presents patterns of cultural criticism centered in the speech of the poet Deek Al-Jin Al-Homsi، revealing them and clarifying their implicit significance. Through reading the poet's book، it was reached and identified in two forms: the first is political، which stems from the injustice and corruption of the authority and is known as (the political system)، and the second is social، including what was general stemming from the social phenomena at that time and what was specific to the poet himself and his relationship with those around him، known as (the social system social).

المقدمة

الحمدُ لله الذي لولاه ما جرى قلم، ولا تكلّم لسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين...

أمّا بعد...

جاء انطلاق البحث من الوجهة التي تدعو لها الأنساق الثقافية المضمرة المرتبطة بالنقد الثقافي ويعدّ بدوره من المصطلحات النقدية التي طرأت على الأدب حديثًا، وهو نقد ما بعد حداثوي يسعى إلى قراءة عميقة للخطاب الأدبي، والوقوف على مضمراته، وكشف الدلالات الضمنية التي تستتر خلف الدلالة الجمالية الظاهرة، وبناءً على هذه الرؤية فانّ ديّك الجّن الحمصي من الشعراء الذين تمتّعت خطاباتهم بالدلالات الضمنية المضمرة تحت الدلالات الجمالية التي تثير المتلقّي وتحفّزه في الغوص فيها؛ ليكشف أنساقه الثقافية والبحث وراء الغايات التي استدعته في سلك هذا الأسلوب.

وقد اقتضت طبيعة البحث الذي وسم ب (النَّسق المُضمر في شعر ديّك الجِّن الحمصِي (ت ٢٣٥هـ)) أن يقسم على محورين تسبقهما توطئة وتتلوهما خاتمة.

نهضت التوطئة بتوضيح بسيط لمفهوم النقد الثقافي والنسق المضمر، أمّا المحور الأول فكان بعنوان (النسق السياسي) الذي قام على العلاقة المشتركة بين الدين والسياسة وتوضيح أحقّية أهل البيت (عليهم السلام) في الخلافة وكيفية سلبها منهم واقصائهم عنها، أمّا المحور الثاني فقد حمل عنوان (النسق الاجتماعي) وتمّ عبره محاولة الكشف عن قبحيات الثقافات الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت.

وانتهت الدراسة بخاتمة تضمَّنت أبرز النتائج التي توصلتُ إليها، وتُبعت بقائمة للمصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين

توطئة:

لا يخفى على القارئ بأنّ ديك الجن الحمصي من الشعراء العباسيين الذين أبدعوا في قول الشعر، والمتمعّن في أشعاره يجدها تحمل أنساقًا ثقافيةً تتعارض بين الظاهر والمضمر في خطاب واحد، ومن هنا لمستُ أهمية الخطاب في شعر ديك الجن ؛ لما يحمله من دلالات مكتنزة بالإضمار جرى تمريرها عبر أغطية الجمال، وقد تمّ تحديد الأنساق في شعره بمحورين، الأول (النسق السياسي)، والثاني (النسق الاجتماعي).

وقبل أن نخوض في تفصيلات البحث لا بدّ من معرفة مصطلح النقد الثقافي بصورة مبسّطة، فهو من المصطلحات النقدية التي ظهرت حديثًا على الساحة الأدبية بداية من الغرب ثم انتقلت إلى العرب، ونعني به ذلك النقد الذي يحاول أن يقرأ النص الأدبي قراءةً أعمق من السابق، فهو ((آلية جديدة لقراءة النصوص)) [١] التي تدعو لإحياء النص الأدبي بطريقة حداثية وحضارية [٢]، ((لتحدّد الروابط بين النص والقيم من جهة، والمؤسسات والممارسات الأخرى في الثقافة من جهة أخرى)) [٣] فيُعدُّ نشاطًا إنسانيًا يحاول دراسة الممارسات الثقافية من الناحية الاجتماعية والذاتية والتاريخية والأخلاقية والقيم الحضارية والسياسية والدينية أيضًا[٤]، ويتكئ في كل ذلك على مبدأ وجود الأنساق المضمرة في الخطاب وتعني ((كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة))[٥]، وقد ذكر الغذامي بأن عنصر النسق هو : ((مضمر ولا شعوري، ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ المتنوّع في البيئة وما تنتجه من ثقافة، هو مضمر نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد،

ولكنه انوجد عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصرًا نسقيًا يلتبّس الخطاب ورعية الخطاب من مؤلفين وقراء)) [٦]، ويعني ذلك انّ النسق الثقافي وجِدَ بشكل غير ظاهر على سطح اللغة وربما بغير وعي من الأديب نفسه لكنه متواجد في عقله الباطن وقد تمكّن من الاختباء واصطناع الحيل للتخفّي [٧] فهو مختفٍ في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي للنص ويتمّ اكتشافه عبر تفكيك وتحليل البنى الداخلية للخطاب.

وقد صرّح الغذامي في كتابه قائلا : ((لقد آن الأوان لكي نبحث عن العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعرنة))[٨]، التي تتمّ عبر موضوعات متعلّقة بالممارسات الثقافية وعلاقاتها بالسلطة، ومدى تأثير تلك العلاقات على شكل الممارسات الثقافية، ومن ثم تحليلها وفق النسق الاجتماعي والسياسي[٩] من ذلك يتضح إنَّ النقد الثقافي يمثّل مجموع الثقافات السائدة في مجتمع ما التي تسهم في إنتاج النص ومحاولة قراءة الثقافة المتكوّنة داخله ثم الوقوف على الأنساق السائدة في ذلك المجتمع والتي يضمرها الأديب تحت عباءة الجمال، ومنها: الظلم والجور والخيانة... التي سنقف عندها في هذا البحث.

١- النَّسق السياسي

تمثّل السياسة واقع الحكومة في أسلوبها وطريقة إدارتها السياسية وكيفية صنع قراراتها عن طريق المؤسسات الحاكمة[١٠]، وكما متعارف عليه في العصر العباسي فإنّ الحكم السياسي والخلافة كان ظاهرها للعرب وباطنها حكم ساساني ينفذ الأحكام العربية للدولة العباسية متخذين من الدين طابعًا لهم في تنفيذ تلك الأحكام[١١]، ومثل أيّ فرد عربي متألم وحزين لما آل إليه مصير العرب في ظل الخلافة، ظهر مجموعة من الشعراء ومنهم الشاعر ديك الجن الحمصي ممثلًا ذلك الواقع المتصدّع بأنساق سياسية التي تعني ((مجموعة من التفاعلات السائدة في أي وحدة سياسية مع إبراز وتأكيد العلاقات المتبادلة بين أطرافها)) [١٢]، لكنه لم يظهر هذه الأنساق بصورتها البارزة بل جاءت مضمرة متوارية خلف نصه الأدبي الجمالي التي يستدلّ عليها القارئ المتمعن فتبدو أنساقًا ثقافيةً مائزةً مصورةً واقع الأمة آنذاك، ومن ذلك ما قاله ديك الجن في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام)[١٣].

(من المنسرح)

نَفْسي فـداءٌ لَكُـم ومـن لَكُـمْ
نفـسي وأُمّـي وأُسْـرَتـي وأبـي
لا تَبْعَدوا يا بَنـي النَّبيِّ عَـلى
أنْ قَـدْ بَعُـدْتُمْ والدَّهـرُ ذو نـوَبِ

بدأت هيبة الخلافة في العصر العباسي تتلاشى نتيجة فساد الخلفاء والوزراء الذين انغمسوا في لهو الحياة ومتاعها، حين كان الخليفة لا يفكر إلاّ في نفسه وملذاتها[١٤]، وهذا ما كان يتعارض مع خلافة أهل البيت (عليهم السلام)، وقد أدرك الناس النسق السلطوي المتبع وحزنوا كثيرًا لتغيير حالهم ومنهم الشاعر ديك الجن متبعًا في ذلك نسقية الشعراء السابقين والمعاصرين له، فنجد الألم متجسدًا حين نقرأ بإمعان خطابه في الأبيات السابقة الذي يحيلنا إلى نسقين متضادين عند الشاعر، الأول _ وهو الظاهر المصرح به _ مدح أهل البيت (عليهم السلام)، لكن النسق الثاني _ وهو المضمر _ يبيّن إنَّ ديك الجن كان يودّ أن يُشيرَ إلى انحطاط كل سياسة جاءت بعدهم ويتمنّى لو يعود الزمان وتكون الخلافة سائدة لآل البيت (عليهم السلام) دون سواهم ؛ رغبةً منه في تغيّر الحال في ضوء بيان حاكمية أهل البيت

(عليهم السلام)، فيظهر تمسّكه الكبير لفكرة السلطة عند أهل البيت لا غيرهم، عن طريق محبّته ونصرته فهو بذلك موال لهم، ولا يكون الولاء ولاءً إلاّ إذا خدم قضية معينة على شرط خيريّتها وصلاحها للمجتمع [١٥] ومن المؤكد بأنّ قضية الشاعر واضحة وتصبُّ في الصلاح والخير الذي كان يعمّ الجميع، وأخيراً فكأن نصّ الشاعر يعدُّ وثيقة سياسية يشير فيها إلى شرعية آل النبي (عليهم السلام) في الخلافة.

ومن ذلك أيضًا قوله[١٦]: (من الكامل المرفّل)

أصْبَحْتُ جَمَّ بَلابِلِ الصَّدرِ
وأبِيتُ مُنْطَوِيًا عـلى الجَمْرِ
مِمَّا جَناهُ على أبي حَسَنٍ
عُمَرٌ وصاحِبُهُ أبو بَكْرِ
جَعَلُوكَ رابِعَهُم أبا حَسَنٍ
ظَلَمُوا وَرَبِّ الشَّفعِ والوَتْرِ
وعلى الخلافَةِ سابَقُوكَ ومَا
سَبَقُوكَ في أحدٍ ولا بَدْرِ

يتشكل الخطاب في الأبيات السابقة في تجلي الالم والحسرة في الظلم الذي وقع على آل البيت (عليهم السلام) وأحقيتهم في الخلافة وكيفية سلبها من الإمام علي (عليه السلام) إذ جعلوه رابعًا وحقّه الأول فيها، كما صرّح النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في غدير خم وبيّن إنَّ عليًا هو الإمام والولي بعده بأمر إلهيّ [١٧] وهذا ما كان ظاهرًا وواضحًا في الأبيات السابقة، أمّا النسق المضمر المتشكّل فيها والذي يحمل في داخله دلالات نسقية مرّ بها التاريخ السياسي، فقد أراد الشاعر أن يبين قبح الثقافة في ذلك الوقت المتمثّلة في الظلم والجور والتسلط لهؤلاء الخلفاء مع أنّهم ينتمون ويدّعون الانتماء لنبي الرحمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) إلا إنّ أفعالهم تدلّ على نقيض ما يقولون في معصيتهم للخالق أولًا، وعدم طاعة رسوله ثانيًا، كما أراد أن يبين جانبًا آخر في هذه الأبيات إذ دلّ على نسق البطولة والشجاعة عند الإمام علي (عليه السلام) والذي عُرِف به في جميع الحروب والمعارك وفي مقابل ذلك يوضح جبن وخوف من تسابق على الخلافة في أوقات الحروب، وظهر تعجبه واضحًا في قوله : (جعلوك رابعهم أبا حسنٍ) فكيف لهم ذلك ؟! وهنا الإنكار واضح للشاعر لما آلت إليه أمور العرب منذ أن فُقِدتْ السلطة وضاعت أحقية الخلافة لمن يستحقّها.

ومن ذلك ما وردَ في قوله أيضًا: (من المتقارب)

دَعُوا ابنَ أبي طالِب للهُدَى
ونَحْرِ العدى كيفَما يَفْعَلُ
وإلاَّ فكُونُوا {...} كما كانَ
هُدًى ولنارِ الوَغَى فاصطَلُوا
ومَنْ كعَلِيٍّ فَدى المُصطَفى
بنفسٍ ونامَ فما يحفِلُ
عشيَّةَ جاءَتْ قريشٌ لهُ
وقدْ هاجرَ المصطَفى المرسلُ
وطافُوا على فُرشِهِ ينظُرونَ
مَنْ يتقدَّمُ اذ يُقْتَلُ
فلمّا بَدا الصبحُ قامَ الوصيُّ
فأقبلَ كلٌّ لهُ يعذُلُ

إن النسق السائد عند بعض الشعراء في قول الشعر هو الحصول على الأموال، أو بيان موقف سياسي معيّن ومدارة أمورهم أمام السلطة، وقد اتخذ العباسيون في دعوتهم للخلافة من كونهم أصحاب حقّ فيها، مستندين في ذلك إلى أفكار دينية ساعدت على جذب الشعراء إليهم[١٨]، وفي المقابل هناك طائفة من الشعراء قد رفضوا هذا المذهب ومثّلوا الجزء الآخر من جسد الثقافة الشعرية في ذلك العصر ومنهم ديك الجن، فقد جسّد الخطاب السردي

في الأبيات السابقة الكشف عن ثقافة دلالية في ذكر الشاعر لحادثة مشهورة وواضحة للمجتمع آنذاك وهي حادثة مبيت الإمام علي (عليه السلام) في فراش النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وبيّن الشاعر قبل خوضه في غمار سرده للحادثة بذكر بيت يشير إلى وجود قيود لذكر الإمام علي (عليه السلام) في ذلك العصر، وهو البيت المتمثل بقوله :

دعـوا ابن أبي طالب للهـدى
ونحـر العـدى كيفـمـا يفـعـلُ

فأراد الشاعر هنا أن يشير إلى العداء الذي واجهته ذرية أهل البيت (عليهم السلام) في ذلك العصر، وقد اضمر بين طياتها نسق الانتماء والدفاع عن أهل البيت وتشيعه وحبه الشديد لهم، ثم سرد الحادثة التي تضمّنت بين ثناياها عدة مضمرات فُقِدت في عصره بدءًا من التضحية بالنفس – وهي أغلى التضحيات - والفداء والشجاعة التي تجسّدت في ذكره للأبيات وسرده لحادثة فتح باب خيبر والتي عجز عن فتحها أكبر القادة وأشجع الشجعان، وبذلك فقد جاوزت النسق للممدوح والمرثي في شخص الامام علي (عليه السلام) المدلول السياسي المتعارف عليه في عصر الشاعر، وبهذا فقد أعطى صورة حيّة لما يدور في مخيلته من صفات وقيم عُليا كانت متجسدة في أهل البيت (عليهم السلام).

ومنه قوله [١٩]: (من مجزوء الكامل)

شَـرَفـي مَحَبَّـةُ مَعْـشَـــرٍ
شَرُفـوا بسُـــورَةِ «هَل أتَـــى؟»
ووَلايَ فيـمَـــنْ فَتْـكُـــهُ
لـــذوي الضَّـلالـــةِ أخْبتـا
وإذا تكـلَّـم فـــي الهُـــدَى
حَـــجَّ الغـــويَّ وأسْكَـتـــا
فَـلِفَتْـكـــهِ ولهَـــدْيـــهِ
سَمَّـــاهُ ذُو العَـــرشِ الفَتى

يتجلّى المعنى الحقيقي في الأبيات السابقة في انّ الشاعر بثّ صفات الممدوح دون التصريح باسمه والمقصود الإمام علي (علي السلام) وأهل بيته الاطهار الذين زادوه شرفًا بحبه لهم وولاؤه إياهم، وبهذا فان الشاعر يحمل نسق الولاء لعترة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ومن جاء بعده من أهل بيته من الذين تصدّوا للكفر والضلالة وأقاموا دين الحق وهداية الناس اليه، ويكتنف هذا الخطاب نسقا ثقافيا مضمرا يعدّ الأساس في بناء الخطاب بأكمله، وعند التنقيب في خبايا النص نجد انّ الشاعر يلحّ في قضية السلطة التي فُقدت وسُلبت من الأجدر والأحق بها، وبهذا فانه أنشأ خطابًا جماعيًا لكل الأفراد في المجتمع لاسيما الطبقة السياسية التي تدير زمام الأمور، ثم يشير بعد ذلك إلى قضية سلب الخلافة والتحسّر على غصب الإمام حقه قائلًا [٢٠]:

(من مجزوء الكامل)

واحسْـرَتَـــاه مـــن غَـصْـبِهِ
وسُكـــوتِـــهِ، واحَسْـرَتَـــاه
طـــالـــتْ حـــيـــاةُ عـــدُوِّهِ
حَـــتى مـــتـــى ؟ وإلـــى متـــى ؟

وهنا إشارة قهرية متجسّدة في نفس الشاعر ومنعكسة على افراد مجتمعه الموالين لآل البيت (عليهم السلام) عبر كلمة (واحسرتاه)، التي فيها تحسّر وحزن على ما فات من أفعال مكر وغدر وخديعة واجهت الإمام علي (عليه السلام) حتى اسكتوه بقتله، ويتضح في البيت الثاني إن الشاعر في خطابه يشير إلى نسق التحريض الجماهيري على من عادى الإمام وأهل بيته (عليهم السلام) ومن اتبع سياسة الأعداء، ولابد من تغيير الحال وإبراز صورة الحق، وبهذا فانه يحرّك همم المتلقّين ويثير عواطفهم لخطابه، وقد تجلّى مفهوم النسق هنا عبر تكرار أسلوب الاستفهام في عجز البيت الثاني

المحرّض في : حتى متى ؟ إلى متى؟ إذ فيها إشارة الى الثورة الحقيقية على كل من يخالف تعاليم الدين وحكم أهل البيت بمن فيهم من تولى السياسة بعدهم، وشحذ الهمم وتشجيع النفوس بعدم الجزع والضعف وتسليم الأمور.

٢- النسق الاجتماعي

إن لكل مجتمع نسقًا اجتماعيًا ينبثق عن مجموعة من الأفراد التي تربطهم روابط متشابهة من الفكر والعمل ويتبعون نسقًا معينًا يتميّزون به عن غيرهم من المجتمعات [٢١] ويتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية التي يندرج تحتها سلوك الإنسان، ومعتقداته، ومعارفه، وقوانينه ؛ ولذلك فإن الواقع الاجتماعي كان من الدوافع الأولى لانفعال الشاعر في قول الشعر ؛ لأنه يعيش أجواءً ضمن إطار اجتماعي معيّن، ولكون الشاعر يحسّ ويشعر بما لا يشعر به غيره فكان تأثّره كبيرًا، فقد عاش الشاعر ديك الجن في عصر الدولة العباسية والتي تكونت من مزيج من الأجناس والأعراق آنذاك وقد تأثّرت بتكوينات مجتمعية انعكست على أفراده، فظهر عندهم بعض الأمراض الاجتماعية المتمثّلة في الخيانة وعدم الوفاء، تفضيل البنين على البنات على سبيل المثال، في الوقت الذي كانت العادات والتقاليد تشغل حيزها عند العرب وتعكس ثقافة مجتمع كامل، وفي بيان هذا الجانب قوله في بيان تصويره للخيانة [٢٢]:

(من مجزوء الخفيف)

خُـنْـتِ سِـرّي مـواتيَـه
والمَـنـايـا مُعـاديَـهْ
أيُّهـا القـلـبُ لا تَـعُـدْ
لـهـوى البيـضِ ثانيـهْ
لـيـسَ بَـرقٌ يكـونُ
أخـلـبْ من بـرقِ غانـيـهْ
خُـنـتِ سِـرّي ولـم أخُـنْـكِ
فـمُـوتـي عَـلانِـيَـهْ

وعن طريق الأبيات المذكورة يظهر النسق الثقافي للقيم والاخلاقيات التي يجب أن يعتزّ بها كل فرد في مجتمعه وإذا بالشاعر يبني خطابه عبر افصاحه عن الغدر والخيانة العاطفية وهما من الصفات المنبوذة ومن أشدّ الأمور إيلامًا - ولا سيما حين تكون صادرة من أقرب الناس إلى الفرد - ممّا تجعله يفقد الثقة في كثير من الأشياء ولا يؤمن لأحد وهذا هو النسق الظاهر، أمّا النسق المضمر _غير المصرّح به_ في النص فان الشاعر أراد أن يوصل خطابًا جماهيريًا بعدم الوفاء في مجتمعه الذي بات حتى على صعيد الأقارب، الذين قد يمنحهم الفرد حبه وودّه ومعروفه، وقبل هذا وذاك ثقته المطلقة إلاّ أنه لم يلاقِ سوى الغدر منهم، وقد شكّل هذا الموضوع حزنًا كبيرًا في قلب الشاعر نابعًا من الواقع الاجتماعي وثقافة المجتمع التي بحاجة إلى تعديل ورجوع لما كانت عليه الأمة العربية وما تتحلّى به من صفات خُلقية وإنسانية، وقد برز لنا ذلك في ضوء قوله : « علانية « التي تجرنا إلى وجود ما هو خفّي في دواخله ؛ فأمره لزوجته بالموت علانية كان قد سبقه موتها سرًا قبل الجهر بذلك.

وفي اطار الواقع الاجتماعي أيضًا، قوله[٢٣]:

(من الخفيف)

أعشقُ المُرْدَ[٢٤] والنكاريشَ[٢٥] والشِّيبِ
وعـنـدي مثـل البنيـن البـنـاتُ
حَـدُّ ما يُشتَهـى ويُعـشَـقُ عندي
حيوانٌ تَحـلُّ فيـه الحَيـاةُ

من الواضح إن الأبيات تشير إلى تغزّل الشاعر بالغلمان ولا فرق بين عشق الرجال والنساء عنده فيعشق الصبيان والبنات والشيوخ وكل كائن تدب

فيه الحياة[٢٦]، ومن القراءة الفاحصة وتفكيك الأبيات السابقة وجدنا إنّ الخطاب يختلف عمّا ورد به من تحليل، فعن طريق القراءة الدقيقة نجد ذلك الخطاب جاء متستّرًا خلف غرض آخر الذي أضمر تحته الشاعر المساواة والعدل والإنصاف بين الرجل والمرأة، وما يدلّ على ذلك بأن الشاعر قد أقحم ما يخصّ الإناث مع صفات الرجال فأراد عن طريق هذا الإقحام أن يساوي بين المرأة والرجل ويجعل منزلتها بمنزلته التي ينظر لها بدونية عند البعض إلى يومنا هذا، فحمل الخطاب بين طياته نسقًا مضمرًا وأراد أن يصل عن طريقه إلى إنقاذ المرأة من جور المجتمع وتسلّطه عليها والإهانة المستمرة التي قد تبدو أمرًا عاديًا لهم، إلاّ إنَّ هذا الكائن من مخلوقات الله عز وجل التي بثّ فيها الروح وأوهبها الحياة وجعلها كريمة فكيف لنا أن نسلب ما منح الله لعباده؟!، وكأنَّ ندم الشاعر انعكس بصورة دفاع عن المرأة ومساواتها مع بقية الأجناس في المجتمع بعد أن قتل زوجته.

ومن الجدير بالذكر إن المتطلّع في حياة الشاعر ديك الجن يجد الحزن متجسدًا في حياته لاسيما بعد حادثة زوجته (ورد) ومكيدة ابن عمه (أبو الطيب)، إذ تركت هذه الحادثة الأثر الكبير في نفسه حتى شابت لحيته وحاجباه من هول هذا الموقف[٢٧]، فأخذ الحزن مأخذه في حياة الشاعر، ولم تهن عليه الكيفية التي انقلبت بها تلك الحياة بعد ما كان يملؤها الحب والسعادة إلى حياة واقعها بؤس ولوم.

وقال أيضًا[٢٨]:

(من الطويل)

نَـزلْنا عَـلـى حُكْمِ الزَّمـانِ وأمْـرِهِ
وهَـل يَقْبـَلُ اَلنَّصفَ الألـدُّ المشاغـبُ
ويضحكُ سنُّ المرءِ والقلبُ موجعٌ
ويَرْضَـى الفتى عَن دَهْرِهِ وهو عاتِبُ

على الرغم من انّ الابيات السابقة محمّلة بالحزن والهموم التي قد يتجاوزها الفرد في حياته ليكمل مسيره ولا يحمّل نفسه أكثر ما لا تحتمل، إلاّ أنّ الشاعر راضٍ بقضاء الله وقدره وكأنه خاضع لمسلّمات الأمور ومساير للوضع المعايش له رغبة في تجاوز الاحزان، وعن طريق التفتيش في خبايا الخطاب نجد الشاعر قد جعل حيلا جمالية أضمر تحتها نسقية الصراع النفسي مع الدهر ومن يعيش به، فالإنسان كي يرضي من يحيطون به يجب أنْ يضحّي بأشياء قد يموت جزعًا بفقدها وتُلبّسه لباس الحزن في حياته، نستدلّ من ذلك إن ديك الجن أراد أن يوصل خطابه للجمهور المجتمعي بصورة غير صريحة من إن الأفراد يراعون الغير ويهتمون بما يُقال عنهم وماذا يفعلون أكثر ممَّا يهتمون بأنفسهم ومراعاة ميولهم الشخصية، كل ذلك لإرضاء النسق الثقافي السائد الذي بُنيَّ على أعراف لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها في حياته، كأنّه يريد القول بأنّ ما فعله في قتل زوجته ساقه لثقافة الدم وكان نتيجة للشك وعدم الثقة بالمقابل، فكان الدافع لفعله الشنيع في القتل المباشر من دون إمساك الدليل أو دفاع الطرف الآخر عن نفسه، فكان ردة فعل لما سيقال في قضيته، فحزنه نابع من ذاته وتصرفاته التي قلبت عليه موازين الحياة رأسًا على عقب.

وقال أيضا [٢٩]: (من الرجز)

أستغـفـــرُ اللهَ لـذنبـي كُـلِّـــهْ
قتـلْتُ إنســانًا بغيـرِ حـلِّـــهْ
وانصَـــرَمَ الليـلُ ولـم أُصَـلِّـــهْ
والسُّكْـرُ مفتـاحٌ لهـذا كُـــلِّـــهْ

يشير الشاعر في النص إلى قضايا كبرى متناقضة تجمع بين الاستغفار لله تعالى والقتل والخمر وهما من كبائر الذنوب، وكأنه جعل الاستغفار أولا ليغطي

على الذنب الذي تم اقترافه في الماضي وهو القتل لزوجته وسلبه لنفس دبَّ الله فيها الحياة، ويستغفره أيضًا لما سيبدر منه في المستقبل إذ انّ هول ذلك الذنب لم يستطع انْ يتخلّص منه ليلًا ونهارًا ويجعل السُكر والخمر الوسيلة للهروب والتناسي.

ويبدو هناك نسق سائد مضمر يشير إلى أفعال الثقافة المجتمعية المنغرسة في اللاشعور عند البشرية يتجسد في إن الانسان يفعل القبائح والذنوب ويستغفر ويتوب إلى الله تعالى ثم يعاود فعله ويكرّر الذنوب طامعًا في رحمة الله ومغفرته، كما جاء في القرآن الكريم : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطُبعَ على قلوبهم فهم لا يفقهون » [٣٠]، فالنسق الثقافي وجِدَ بشكل غير بارز وبصورة غير مباشرة على سطح اللغة إلاّ انّه تشكّل في لا وعي الأديب نفسه وتواجد في عقله الباطن لأنه ببساطة ممارسة ثقافية ارتسمت في أفراد المجتمع وتكوّنت في اللاشعور.

الخاتمة

بعد دراستي لظاهرة الحزن عند ديك الجن توصلت إلى الآتي:

١- مثّل شعر ديك الجن الحمصي نتاجًا أدبيًا خصبًا حمل معه انساقًا مضمرةً بينّت الالتزام الحقيقي بالهوية الدينية والانتماء لأهل البيت (عليهم السلام) فضلا عن معالجة بعض الأمور الاجتماعية التي جُبلت عليها الشخصية العربية، وتمّ تحديد بعض الانساق من شعره بـ : الانساق السياسة والانساق الاجتماعية لما لها من حضور بارز ومهيمن في خطابه.

٢- استثمر الشاعر عبر النسق السياسي وعن طريق مدحه لآل البيت (عليهم السلام) ورثائهم بنية دلالية حملت تحت هذا المدح عدم القبول والرضا لمن تولّى الخلافة بعدهم متخذين من الإسلام وسيلة لنيل ما يرغبون به وبهذا فقد تداخل مع النسق السياسي نسق الولاء لأهل البيت والتحريض على السياسة المخالفة لمبادئهم.

٣- وظّف الشاعر عبر النسق الاجتماعي خطابا يحمل في بواطنه معالم ما يريد معالجته من قضايا اجتماعية سائدة لم تنل استحسان بعض الأفراد ولو تُرِكت لأصبحت ثقافة سائدة في ذلك المجتمع.

٤- جسدت أشعار ديك الجن الحمصي نتيجة تحمل تجربة الشاعر في الحياة مفادها ان الثقافة العربية والنسقية المتكونة ما هي إلاّ تراكمات بشرية تجسدت في لا وعي المجتمع ولاسيما الأدباء وأصبحت حاضرة في الخطابات الأدبية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المصطفى الهادي الأمين، وعلى آله الهداة الميامين.

الهوامش

١- جماليات التحليل الثقافي، يوسف عليمات : ٣٤.
٢- ينظر: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، الدكتور سمير خليل : ١٠.
٣- دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي: ٨٠.
٤- ينظر : النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب:٧.
٥- نقد ثقافي أم نقد أدبي : د. عبدالله الغذامي، د. عبد النبي اصطيف :٣٣.
٦- النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية : ٧١.
٧- ينظر : نظريات النقد الادبي في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي.
٨- النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي :٧.
٩- ينظر: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب :١٣.
١٠- ينظر : الرواية السياسية، طه الوادي: ٣٤.
١١- ينظر : تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، شوقي ضيف : ١٩-٢٠.
١٢- الرواية السياسية : ٣٥.
١٣- ديوان ديك الجن : ٣٢.
١٤- ينظر: تاريخ الأدب العربي :١٩.
١٥- ينظر: فلسفة الولاء، جوزايا رويس : ٢٠١.
١٦- ديوان ديك الجن :٤٩ -٥٠.
١٧- ينظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين الجوزي :١٩/ ٤٤٣، البداية والنهاية، ابن كثير القرشي :٢٢٨/٥.
١٨- ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة : ٣٧٦-٣٧٧.
١٩- ديوان ديك الجن : ٤٧.
٢٠- ديوان ديك الجن : ٤٨.
٢١- ينظر : دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د.سمير الخليل :٧٤.
٢٢- ديوان ديك الجن : ٨٩.
٢٣- ديوان ديك الجن :١٦٠.
٢٤- المرَدُ : تطلق على الشّاب الذي لم تظهر لحيته، ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس :٣١٨/٥، المعجم الوسيط : ٨٦١/٢.
٢٥- النكاريش : ومَعْنَاها حَسَنُ اللِّحْيَةِ، ينظر : تاج العروس، الزبيدي : ١٧/ ٤٢٩.
٢٦- ينظر : ديك الجن الحمصي دراسة في حياته وشعره (رسالة ماجستير)، مراد بن فردية،٨٣
٢٧- ينظر: ديك الجن الحمصي دراسة في حياته وشعره (رسالة ماجستير) : ١٥.
٢٨- ديوان ديك الجن : ٧٢.
٢٩- ديوان ديك الجن : ١٨٥.
٣٠- سورة المنافقون / اية (٣).

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، ١٩٦٣م.

٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤ه)، تحقيق: علي شيري، مكتبة المعارف، بيروت.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية.

٤- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

٥- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي انموذجا، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

٦- دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة،٢٠٠٢.

٧- دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، تأليف: د.سمير الخليل، مراجعة وتعليق: د. سمر الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان.

٨- ديوان ديك الجن، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري، دار الثقافة، بيروت/ لبنان.

٩- الرواية السياسية، طه الوادي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،

١٠- فلسفة الولاء، جوزيا رويس، ترجمة : احمد الانصاري، مراجعة: حسن حنفي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١١- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة.

١٢- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسن (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، ١٩٩٧م.

١٣- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين الجوزي (ت٥٩٧ه)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤- نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي، مطابع الانوار، المغرب، ٢٠١٢م.

١٥- النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، الدكتور سمير خليل، دار الجواهري، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

١٦- النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة،٢٠٠٥م.

١٧- نقد ثقافي أم نقد أدبي : د. عبدالله الغذامي، د. عبد النبي اصطيف، دمشق، دار الفكر المعاصر،الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

الرسائل:

١- ديك الجن الحمصي دراسة في حياته وشعره (رسالة ماجستير)،مراد بن فردية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ٢٠١٨م.